النورسي ومعالجته النقدية الايجابية البناءة للقضايا

Al-Nawras□ **& his critical positive & Constructive Treatment of Issues**

د/ أشرف عبد الرافع الدرفيلي *

ABSTRACT

From the very first day, the scholars of the *Ummah*, Particularly from the time of *Im□m Sh□f□* movements of Islamic thought originated, which affected not only the Arabic world but the whole Islamic world. There had been movements of severe revenge and bloodshed and a lot of people were killed. *Im□m Nawras*□ is one of those unique people who served the Islamic thought from such dangerous storms. Day and night he made selfless efforts. He criticized the falsehood and injustice.

The period of *Im□m Nawras*□ was plagued with severe gales of argumentations. This became the cause of Invitational, reformative and renewing movement of *Im□m Nawras*□. It faced the western and European attacks which appeared after Industrial and ideological revolutions of Europe. Before starting the movement, he did deep study of current affairs, Islamic thought and history. He studied the reasons due to which chaos of Islamic thought began. It was necessary to study all the situations and to fight with the contemporary Atheistic thought and wipe out its effects. So this article discusses intellectual contributions of *Im□m Nawras*□. He is great in handling the critical situation, and his conservative positive criticism is excellent. He is one of those luckiest persons who survived and got a chance to serve humanity. He was unique in handling intellectual issues away from dialectical demagoguery.

Im□m Nawras□ really worked great for Islam. His principles regarding intellectual positive criticism, his philosophical thoughts, his criticism on mystic issues are presented here in this article. It is important to study and analyze *Nawras*□'s amazing ability and his critical positive approach and treatment of constructive issues away from the ego.

Keywords: *Nawras*□, *Reform, Issues, Critical, Positive constructive Ideologies.*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... وبعد ،

لقد كان لجهود علمائنا الإصلاحية والتجديدية منذ زمن الإمام الشافعي وسيراً بعده حتى وقتنا المعاصر الأثر الكبير في إثراء الحركة الفكرية في العالم العربي والإسلامي من الناحية النظرية، على الرغم مما اعتراها من منعطفات سلباً وإيجاباً، وما صاحبها من صراعات وتنازعات وانقسامات واضطرابات، بل وما لازمها من إقصاء وعنف وتعصب واقتتال وإراقة دماء، ولم ينجو من ذلك إلا القليل ممن رحمهم الله، والإمام النورسي واحد من هؤلاء وأبرزهم، بل وكان فريداً في معالجته للقضايا الفكرية بعيداً عن الجدلية الغوغائية، ومتجنباً للنقد الانتقامي أو الفوضوي أو التشاؤمي، على الرغم من معايشته لأحداث ومراحل تاريخية عصفت بكل موروث إسلامي في بلد كانت حاضنة للخلافة الإسلامية، وكان لهذه الأحداث تأثيرها على حياته، وكانت المحرك الأبرز له للنهوض في الناس بدعوته الإصلاحية والتجديدية لمواجهة الحداثة الأوربية التغريبية، والغوص في المشكلات التاريخية والفلسفية، للوقوف على تفسيرٍ شامل لعوامل الفرقة، والتدهور والنهوض الحضاري، وإعادة صياغة الأفكار والممارسات الإسلامية في عصر ما بعد الثورة الصناعية، والأيديولوجيات المتنوعة، وإعمال الفكر في العملية التاريخية الحديثة، والتكيف معها بفهم دقيق للتحولات – التاريخية – مع ابتكار منهج ديني ناضج راشد، واستيعاب دقيق للبُعد الديني في كل ما يُطرح من أفكار، لنتمكن من التعامل مع هذه التحولات، ومجابهة تحديات الحداثة المادية والعلمانية الراديكالية، وإزالة ما تم ترويجه، في الجزء الأول من القرن العشرين – بأن الخطاب الإسلامي خطاب رجعي ومتخلف.

لهذا رأيت أنه من الأهمية دراسة وتحليل قدرة النورسي العجيبة على معالجته النقدية الايجابية البناءة للقضايا بعيداً عن الأنا والجدلية، ثم استخلاص ضوابط النقد العلمي الايجابي في رسائل النور، وإبراز الأسس والأدوات التي انتهجها النورسي لتحقيق ذلك، وسوف تتناول الدراسة مناقشة وتحليل ما يلي:

١- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للنقد وأنواعه .
٢- شروط ودساتير النقد الإيجابي البناء في رسائل النور.
٣- منهجية النورسي الذاتية في المعالجة النقدية للقضايا .
٤- معالجة النورسي النقدية للقضايا الفلسفية .
٥- معالجة النورسي النقدية لعلم الكلام .
٦- معالجة النورسي النقدية للتصوف .
٧- خاتمة بأهم نتائج البحث .

أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للنقد وأنواعه:

النقد لغة: هو التمييز بين الصحيح والزائف، نقول: نقدت الدراهم، أي ميزت الجيد من الزائف.

والنقد: هو المناقشة، نقول: ناقده في المسألة، أي ناقشه، ويطلق النقد على الوازن من الأشياء، أي الراجح منها[١].

النقد في الاصطلاح: هو نقد التعبير المكتوب أو المنطوق من متخصص يطلق عليه اسم ناقد وتتوفر فيه خصائص وأساليب وأدوات الفاحص الناقد عقلياً ومعرفياً، وذلك للكشف عن سلبيات وإيجابيات أقوال أو أفعال أو إبداعات أو قرارات.

أنواع النقد وأقسامه: حين استعرض الإمام النورسي أثناء شرحه وتفسيره للحديث الشريف «اختلاف أمتي رحمة»[٢]، برع في حل الإشكالية لفهم هذا الحديث، ونستطيع أن نستخلص مما ورد أقسام النقد وتعريفاتهم الاصطلاحية:

النقد الإيجابي: وهو أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته دون أن يحاول هدم مسالك وأفكار الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً.

النقد السلبي: هو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلاً في نظر الحديث[٣].

أما النقد من حيث ما يتعلق به من قضايا فيمكن تلخيصه فيما يلي:

النقد المنهجي: وهو يعني تجاوز موقفي الرفض والقبول المطلقين، واتخاذ موقف قائم على الحيادية لبيان أوجه الصواب والخطأ من خلال الموازنة بموازين الشرع والتمييز العقلي المجرد عن المادية.

النقد المعرفي: وهو يعني تحرير العقل عن الأخطاء الناتجة عن التعلق بالفكر الخرافي والأساطير، وهي أخطاء تعوق سيره نحو المعرفة الصحيحة [٤].

---

(١) المعجم الوسيط، حرف النون(ن) مصر، طبعة وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٤م

(٢) هذا الحديث على الرغم من استشهاد علماء كثيرين به كالقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ١٥٩/٤ وذكره في كتب الحديث المعتبرة إلا أنه مثار جدل ونقاش لأن مقابلته مع النص القرآني تبين أن الاختلاف لم يرد في نص إلا ووقع في دائرة النهي والذم، أنظر كتابنا: نحو التوحد الإسلامي الكبير، ص:٣٨ — ٤١

(٣) النورسي، بديع الزمان سعيد، المكتوبات، دار النيل للنشر، ط أولى، ٢٠١٢، ص: ٣٣١ — ٣٣٢

(٤) زقزوق، أ. دكتور محمود حمدي، مدخل إلى الفلسفة، ط المعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة، ٢٠٠٤م، ص: ٩، ١٢؛ وانظر إلى مقاربة ذلك النقد المعرفي عند الإمام النورسي: الشعاعات ، كليات رسائل النور ، دار

النقد السياسي: هو الكشف عن أوجه القصور في السلطة السياسية حين مزاولتها لأداء دورها كنائب عن أفراد الأمة بسبب بعدها الرئيسي عن الشورى وأساليب السياسة الشرعية العادلة .وقد تجلى تأسيس النقد السياسي في أروع صوره من خلال كلمات سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد توليه منصب الرياسة الخلافة، في سقيفة بني ساعدة حين قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم[١].

النقد الأدبي: يعني الكشف عن مدى اتساق أو تناقض العمل الأدبي — بجميع تصنيفاته — مع قواعد ومعايير علم الجمال من حيث الشكل، وبيان مدى ارتباطه بالواقع الاجتماعي من حيث المضمون، للعمل على إزالة ما يعوق تقدم المجتمع ثقافياً وأدبياً [٢].

النقد الاجتماعي: هو نقد يكشف عن الظواهر السلبية في المجتمع من حيث أنماط التفكير والسلوك وكل ما يرتبط بالعلاقات الاجتماعية السلبية بين الأفراد والجماعات وعدم توافقها لمنهج القرآن والسنة ومع فطرة الإنسان السوية، ولقد تجلى نقد النورسي الإيجابي للحياة الاجتماعية بعد زوال الخلافة العثمانية وإعلان الجمهورية التركية العلمانية التي عكفت على محو كل ما هو إسلامي وتجريد المجتمع التركي من عاداته وقيمه وأعرافه وسلوكياته الإسلامية وتغييرها بنمط الحياة الاجتماعية الغربية[٣].

ثانياً: شروط ودساتير النقد الإيجابي البناء في رسائل النور:

الباحث في رسائل النور والقارئ لها يجد أن الإمام النورسي حين سطرها وضع الأسس والضوابط والتزم بالأدوات المنهجية العلمية في معالجته النقدية المؤسسة على الإيجابية لجميع القضايا التي

سوزلر، ٢٠١٢، ص:١٣٥، إشارات الإعجاز، ص ٢٢٥، أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية: ط أولى، ص: ٤٠ — ٤٢، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٥، وانظر كتابنا: الحرية والمعرفة عند الإمام النورسي، ص:٤٤٨

(١) صفحات من سيرة الرسول الكريم، علماء وزارة الأوقاف، طبعة وزارة الأوقاف، القاهرة، ص:٢٤

(٢) النورسي، بديع الزمان سعيد، سيرة ذاتية، كليات رسائل النور ، دار سوزلر، ٢٠١٢، ص:٣٨٩، الشعاعات، ص:٣٤٠، وانظر كتابنا: الحرية والمعرفة، ص:٣٣٢.

(٣) النورسي، بديع الزمان سعيد، رسالة الحجاب، ومرشد الشباب، ومرشد أخوات الآخرة. وانظر كتابنا، الحرية والمعرفة، ص:١٢٢، ١٢٦

ناقشها واستعرضها، بل وأصلها واقعاً عملياً وتطبيقياً حياً في رسائله ومعاملاته ومناقشاته ودعوته وطلابه، ويمكن استنتاج أبرز الشروط التي جعلها منهجاً له ورأى وجوب توافرها في النقد الإيجابي البناء فيما يلي:

أولاً: إذا كان النقد إيجابياً فلابد من ابتعاده عن المدح والثناء والإطراء، وإذا كان سلبياً فيجب الحذر من الوقوع في دائرة السباب والشتائم والتكفير والتبديع والتنقيص من أجل إسقاط الآخرين وإبراز ذاته من خلال نقده، بل يجب أن يكون النقد في كلا الحالتين مبنياً على الموضوعية والحيادية والتجرد من التعصب والأهواء والأحكام المسبقة، وخاصة بين أهل المسالك والمذاهب والفرق.

ثانياً: عدم تأسيس النقد على النيات والمقاصد العشوائية، بل يجب أن يتجه النقد حول فكرة موضوعية ونقطة جوهرية واضحة وذات أهمية قصوى، بعيداً عن المساس بالتجريح في صاحب الفكرة .

ثالثاً: أن تؤسس منطلقات النقد على ثوابت علمية ومنهجية دقيقة، ومتوافقة مع موازين العقل العلمي السليم وضوابط الشرع الصحيحة والمتفق عليها، وكما يقول الإمام النورسي: "العقل القرآني ووزن القضايا بموازين الشرع "(١).

رابعاً: إذا كان النقد يسبب فتنة أو يحدث منكراً أعظم من السكوت فالتزام الصمت وترك النقد هو الأولى، لأنه ليس من الحكمة أن تنتقد كل ما يحدث ويطرأ، والناس لو سكتوا عن أشياء كثيرة وتغاضوا عن قضايا سلبية لماتت في مهدها ولما حدث لها انتشار، ونحن نرى من أراد أن ينشر فكرةً ما أن يطلب من الآخرين نقده .

جسد الإمام النورسي معالجته لهذه الشروط بمنهجية علمية من أجل تحقيق النقد الإيجابي البناء المتوافق مع منهج القرآن والسنة النبوية في بضع دساتير تتسم بالشمولية والعمق وتتمثل فيما يلي:

١- عدم انتقاد إخوانكم العاملين في هذه الخدمة القرآنية، وعدم إثارة نوازع الحسد بالتفاخر والاستغلاء ؛لأنه كما لا تحاسد في جسم الإنسان بين اليدين، ولا يرى القلب عيب الروح، بل يكمل كل منه نقص الآخر ويستر تقصيره ويسعى لحاجته ويعاونه في خدمته .

٢- اعلموا أن قوتكم جميعاً في الإخلاص والحق، حتى إن أهل الباطل يحرزون القوة لما يبدون من ثبات وإخلاص في باطلهم(٢).

٣- عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول: إن مسلكي حق أو هو أفضل " ولكن لا يجوز لك أن تقول:" إن الحق هو مسلكي أنا فحسب؛ لأن نظرك الساخط وفكرك الكليل لن يكونا محكاً ولا حكماً يقضي على بطلان المسالك الأخرى .

---

(١) الحرية والمعرفة، ص: ٥٢٩ – ٥٣٢

(٢) النورسي، بديع الزمان سعيد، اللمعات، اللمعة العشرون، رسالة الإخلاص، ص: ٢٢٢ – ٢٢٧ بتصرف

٤- عليك أن تقول الحق في كل ما تقول، ولكن ليس لك أن تذيع كل الحقائق، وعليك أن تصدق في كل ما تتكلمه، ولكن ليس صواباً أن تقول "كل صدق ".

٥- إذا كان النقد مؤسساً على نزعة العداء والحقد والحسد، فالأولى أن تعادي ما في قلبك من العداوة، وحاول أن تعادي من هو أعدى أعداءك وأشدهم ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك، فقاوم هواها واسع في إصلاحها، واعلم أن صفة المحبة محبوبة لذاتها، وإن أردت أن تغلب خصمك بالنقد السلبي الهدام، فادفع سيئته بالحسنة والنقد الإيجابي البناء، وليدرك صاحب النقد المؤسس على الحسد أنه ينتقد القدر الإلهي ويعترض على رحمته الواسعة، فليدرك أن ما ناله محسوده من أعراض دنيوية من مال وقوة ومنصب وذيع صيت، هي أعراض زائلة فانية، أما إذا كان النقد الناشئ عن الحسد ناشئاً من الدفاع عن دين الله والفوز بالآخرة فلا حسد أصلاً، ولهذا يجب مراعاة ما يلي أثناء سيرك في نقد الآخرين:

- ينبغي أن تدرك أن القدر الإلهي له حظه في الأمر، فعليك أن تستقبل حظ القدر هذا بالرضى والتسليم .
- إن للشيطان والنفس الأمارة بالسوء حظهما كذلك، فإذا ما أخرجت هاتين الحصتين لا يبقى أمامك إلا الاشفاق على أخيك بدلاً من عدائه، لأنك تراه مغلوباً على أمره أمام نفسه وشيطانه، فتنتظر منه بعد ذلك الندم وعودته إلى صوابه .
- عليك أن تلاحظ تقصيرات نفسك التي لا تراها أو لا ترغب أن تراها، فإذا عزلت هذه الحصة مع الحصتين السابقتين سترى الباقي حصة ضئيلة تستقبلها بالعفو والصفح، وتنجو من أي ظلم أو إيذاء لأحد .

وقد مرت على الإمام النورسي حادثة جديرة بالملاحظة، حيث تكشف لنا عن سوء وفظاعة النقد القائم على الشخصنة والمصالح الذاتية والأنانية والتعصب المذهبي والحزبي، يقول النورسي: رأيت ذات يوم رجلاً عليه سيماء العلم يقدح بعالم فاضل بانحياز مغرض حتى بلغ به الأمر إلى حد تكفيره، وذلك لخلاف بينهما حول أمور سياسية، بينما رأيته قد أثنى في الوقت نفسه على منافق يوافقه في الرأي السياسي، فأصابتني من هذه الحادثة رعدة شديدة، واستعذت بالله مما آلت إليه السياسة وقلت: أعوذ بالله من الشيطان والسياسة"[١]

فالنورسي يرى أن النقد إذا كان لأغراض شخصية ولهوى النفس الأمارة بالسوء وللتسلط

(١) المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون، ص: ٣٢٧

والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فهو نقد وملجأ ذوي النيات السيئة، بل ومتكأ الظلمة ومرتكزهم، فالظلم واضح في تصرفاتهم، فلو أتى شيطان إلى أحدهم معاوناً له وموافقاً لرأيه يثني ويترحم عليه، بينما إذا كان في الصف المقابل إنسان كالملك تراه يلعنه ويقذفه، فهذه الدائرة من النقد وبسط الأفكار لا تظهر فيها الحقيقة، بل تتولد منها شرارة الفتن والنزاعات والنفاق والشقاق، فلا تجد بين أمثال هؤلاء اتفاقاً في المقصد والغاية ؛لأنه ليس لأجل الحق أو الوصول إلى الحقيقة. أما إذا كان النقد من أجل مناقشة الآراء والأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح رغم تنوع الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا نقد يندرج تحت قائمة الإيجابية ويقدم خدمة جليلة [١].

ثالثاً: منهجية النورسي الذاتية في المعالجة النقدية للقضايا:

يمكننا حصر ورصد منهجية النورسي في المعالجة النقدية للقضايا، أو ما يمكننا تسميتها " تصفية الذات قبل نقد الآخر "كما سجلها في رسائل النور وذلك بإيجاز على النحو التالي:

١- يضع النورسي منهجاً نقدياً لابد لكل مصلح أن يلتزم به، وهو أن يبدأ الناقد والمصلح بنقد نفسه أولاً وإصلاحها، فيقول: من لا يصلح نفسه لا يمكنه إصلاح غيره، علينا أن نرشد أنفسنا ثم نرشد غيرنا.

٢- نقده الذاتي لمراحله العمرية والفكرية، حيث قام بمراجعة نقدية دقيقة لأفكار سعيد القديم، انتقل على إثرها لمرحلة سعيد الجديد[٢].

٣- رغم تصفيته لذاته قبل نقد الآخر لكي يكون نقده نقداً موضوعياً، فإنه يدعو من يسمعه ويقرأ رسائل النور إلى تصفية ذاته من حسن الظن به وبكلامه، وأن لا يقبل كلامه على علاته دون اختيار وتمحيص ووزن الكلام المقروء والمسموع بميزان القرآن والسنة، فيقول: "ليس هناك من يوصم نفسه بالفساد، بل غالباً ما يظهر المفسد نفسه بمظهر الصلاح والصواب. نعم إنه مثل مشهور " ما من أحد يقول لمخيضه حامض " فعليكم أن تختبروا كل قول تسمعونه ولا تقبلوا أي كلام كان دون اختيار وامتحان، فالكلام الفاسد رواج في عصرنا هذا، حتى كلامي أنا لا تقبلوه على علاته – بناءاً على حسن ظنكم بي – وإنما دعوا أي كلام كان يظل على هامش تفكيركم حتى إذا ما نجح في الإختبار وظهر صدقه وبان معدنه الذهبي، عند ذلك احفظوه في

(١) المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون، ص: ٣٣٢ – ٣٣٣ بتصرف

(٢) اللمعات، ص: ١٧٦، وانظر كتابنا، الحرية والمعرفة، ص: ١٦٥، ٢١٣

القلوب، أما إذا كان صدأ – ومن معدن رخيص– فاطرحوه أرضاً غير مأسوف عليه"(١).

٤- إن النورسي جعل لمنهجه النقدي ميزاناً لا يتجاوزه، وهو ميزان الشريعة " فيقول: " إنني طالب شريعة، لذا أزن كل شيء بميزان الشريعة، فالإسلام وحده هو ملتي، لذا أقيم كل شيء وأنظر إليه بمنظار الإسلام"(٢).

٥- إن النورسي لم يجعل المنهج النقدي هدفه وغايته دون مبرر ضروري ملح، فهو لم يلجأ للنقد إلا عند الضرورة القصوى، مع التزامه التام في مسعاه للمعالجة النقدية أن يكون ذلك مطابقاً لواقع الحال زماناً ومكاناً، وموافقاً لحاجات العصر، وما تقتضيه المصلحة والضرورة(٣).

٦- التزامه بالعرض النقدي الموضوعي التحليلي للقضية سلباً وإيجاباً، وطرح البدائل العلاجية المناسبة كبناء تعويضي عما أبرز من الجوانب السلبية الضارة، وتأسيسه لقاعدة معيارية للتعامل مع جميع المستجدات والبُعد عن التقوقع، وهي " خذ ما صفا ودع ما كدر"(٤) .

٧- التزام النورسي في خطابه النقدي باللين والرفق في الكلام، ولا يتجاوز هذا الالتزام إلا حين يرى هجوما صارخا على القرآن الكريم، وتجاوزا شنيعا على الحقائق الإيمانية بتزييفها(٥).

رابعاً: معالجة النورسي النقدية للقضايا الفلسفية:

مما لا شك فيه أن تنوع الفلسفات واختلاف مشاربها وتباين مراميها يعكس وطأة التيه الخانقة التي ظل العقل البشري يضرب فيها بحثاً عن معالم طريق يسكن إليه ويقر فيه قراره، ولذلك وبسبب خاصيتها الاستفزازية تلك فقد تناوشت مع الدين، بل وتعارضت معه في بناءات فكرية عديدة، ودخلت معه في علاقة عداء سافر، خاصة في العصور الوسيطة، حين كانت الكنيسة تتعصب لفرض معتقداتها وحجب الرؤية عن أنظار الناس، ومع العصر الحديث تفاقمت زندقة الفلسفة المادية وخاصة بعد بزوغ الكشوف العلمية والرياضية، وقلبها للأطر والفرضيات والاستشرافات التي ظلت تنادي بها التعاليم الإنجيلية، الأمر الذي جعل الفلسفة الوضعية تنحو منحى الثورة في رفضها للمعطي الديني والمعرفة الكهنوتية، وفي تعاملها مع المقدس، وبناء أخلاقياتها على مسطرة اللادين، والواقع أن ثورة الفلسفة على

(١) إحسان قاسم، النورسي حياته وآثاره، ص: ٢١٧، وانظر، صقيل الإسلام، مناظرات

(٢) النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام، ص: ٤٣٩

(٣) نفس المرجع السابق، ص: ٤٤٦

(٤) النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص: ٣٦، ٨٥٤، وانظر صيقل الإسلام، ص: ٤٦٨، سيرة ذاتية، ص:٨٦

(٥) اللمعات، " رسالة الطبيعة " ص: ٢٤٥

الرب – وسبحان الله عما يقولون – قد وقعت في شرك الروح الكتابية ذاتها ولم تخرج عنها، وذلك حين ناظرت بين الرب الممات على يدها (المسيح) وبين الإنسان المؤله على يديها أيضاً(المسيح أيضاً) ذات الوازع العرفي، ذلك لأن الإنسان المؤله لديها ليس هو الإنسان مطلقا، ولكنه إنسان الاستعمار الفاتح الإمبراطوري[١] لهذا نرى النورسي ينتقد تلك الأفكار والأسس الفاسدة التي يستند عليها الماديون الطبيعيون " لبيان أن ما سلكه أولئك الملاحدة الماديون من طرق ومناهج لا تعدوا أن تكون محض خرافة خرقاء "[٢] ولا تكتفي الرسائل بإيراد بضعة أدلة، وإنما تسرد الدلائل تلو الدلائل وتعقبها بأمثلة غزيرة ومتنوعة حتى تبين بوضوح أن الطريق التي يسلكها المنكرون من المادين الطبيعيين هي بعيدة كل البعد عن المسلمات المنطقية والعقلية، بل تمجها العقول السليمة وأنها محض خرافة، ويسلك النورسي في معالجته النقدية تلك بخطوات منطقية عقلية، فمثلاً:

جاء في مقدمة رسالة " الطبيعة ": أيها الإنسان أعلم أن هناك كلمات رهيبة تفوح منها رائحة الكفر النتنة تخرج من أفواه الناس وترددها ألسنة أهل الإيمان دون علمهم بخطورة معنى ما يقولون، وسنبين ثلاثة منها هي الغاية في الخطورة:

أولاها: قولهم عن الشيء: " أوجدته الأسباب " أي أن الأسباب هي التي توجد الشيء المعين .

ثانيتها: قولهم عن الشيء: " تشكل بنفسه " أي أن الشيء يتشكل من تلقاء نفسه ويوجد نفسه بنفسه وينتهي إلى صورته التي انتهى إليها كما هي .

ثالثتها: قولهم عن الشيء: " اقتضته الطبيعة " أي أن الشيء طبيعي والطبيعية هي التي أوجدته واقتضته.

ثم تذكر الرسالة تلك المحالات، وتوضحها بأمثلة علمية سلسة متنوعة، حتى لا تذر غباراً للشبهة والوسوسة في القلب والعقل، وهكذا يلمس القارئ الأسلوب العلمي المنطقي الرصين والمحاورة الهادئة الرزينة"[٣].

ويلمس القارئ لرسائل النور أن نقد القضايا الفلسفية في " رسائل النور" أخذت حيزاً كبيراً بحيث لا تكاد تخلو معظم الرسائل من وقوف مع الفلاسفة، رداً على آرائهم أو مناقشة لأدلتهم أو مقارنة بين نظرتهم إلى الله والإنسان والكون، ثم بيان نظرة القرآن الكريم، وفي كثير من الأحيان يكتسي أسلوب الرد قوة بقدر ما نلمسها في سعة التحليل ومتانة الاستدلال، نجدها أيضاً في قساوة النعوت التي يستعملها النورسي لوصف الفلاسفة الماديين وتسفيه آرائهم ومناهجهم، فهو في أحسن الأحوال يصفهم بأنهم "

---

(١) عشراتي سليمان، النورسي في رحاب القرآن، ص: ٢٤٧، ٢٤٦. بتصرف

(٢) اللمعات "رسالة الطبيعة " ص: ٢٤٥ – ٢٤٦

(٣) النورسي حياته وآثاره، ص: ٢١٣، ٢١٢. وانظر اللمعات، اللمعة الثالثة عشر

انحدرت عقولهم إلى عيونهم "[1] فلم يستطيعوا تجاوز حدود الحس، ويصف فلسفتهم بأنها " طاعون معنوي حيث تسبب في سريان حمى مهلكة في البشرية عرضها للغضب الإلهي " [2] وهي تحجب عن الإنسان الإدراك السليم للحقائق إذ " تكل العقل وتعمي البصيرة"[3] وهي " غول يريد أن يلتهم عقائد المسلمين"[4] وهي في النهاية " فلسفة مبنية على أساس العبث في الوجود " [5] ؛لأنها " فلسفة عاصية للدين" [6].

والنورسي يميز أثناء معالجته النقدية بين التفكير الفلسفي المقبول، والتفكير الفلسفي المرفوض، وهذا التمييز وضحه بشكل مباشر من خلال جملة من النصوص وردت في رسائله، وأوضح فيها أن رفضه إنما هو لنوع من أنواع هذا التفكير وهو الفلسفة المادية، فيقول: " أما الفلسفة التي تهاجمها رسائل النور وتصفعها بصفعاتها القوية فهي الفلسفة المضرة وحدها، وليست الفلسفة على إطلاقها، ذلك ؛لأن قسم الحكمة من الفلسفة التي تخدم الحياة الاجتماعية والبشرية وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية وتمهد للرقي الصناعي، فهي في وفاق ومصالحة مع القرآن، بل هي خادمة لحكمة القرآن، فلا تعارضها ولا يمكنها ذلك، لذا فرسائل النور لا تتصدى لهذا القسم من الفلسفة.

وأما القسم الثاني من الفلسفة: وهي التي أصبحت وسيلة للتردي في الضلالة والإلحاد والسقوط في هاوية المستنقع الآسن للطبيعة، فأنه ينتج كذلك السفاهة واللهو والغفلة والضلالة ويعارض الحقائق المعجزة للقرآن الكريم بخوارقه التي هي كالسحر لذا فإن رسائل النور تتصدى لهذا القسم من الفلسفة في أغلب أجزائها بنصبها موازين دقيقة وسوقها البراهين الدامغة فتصفعها بصفعاتها القوية في حين أنها لا تلتفت إلى القسم النافع منها "[7].

النورسي أثناء مسيرته النقدية للقضايا الفلسفية أراد أن يبين ان الإختلاف بين جوهر الفلسفة ومراميها، وبين روح القرآن ومقاصده يبدأ في طبيعة الصلة بين المصدرين وبين الوجود، ويبتدئ أيضاً في مستوى الحوار الذي يعقده كل منهما مع الكون وعناصره وجميع المخلوقات، فالقرآن يبحث عن معاني

(١) الكلمات، ص:٦٠١

(٢) نفس المرجع السابق، ص: ٨٧٧

(٣) المرجع السابق، ص: ٥٧٧

(٤) اللمعات، ص:٢٦٧

(٥) الكلمات، ص: ٦٥٥

(٦) نفس المرجع السابق، ص: ٦٤٣

(٧) النورسي، بديع الزمان سعيد، الملاحق، ص: ٢٨٦

كتاب الكائنات ودلالتها، أما الفلسفة فإنما تبحث عن نقوش الحروف ووضعياتها ومناسباتها ولا تعرف أن الموجودات كلمات تدل على معان، فإن شئت أن ترى فرق حكمة الفلسفة وحكمة القرآن فراجع ما في بيان آية: ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(١)، فالفلسفة تثير السؤال بشكل دائم، وهذا يرسخ داخل الإنسان قلقاً مستمراً خاصة عند عدم الحصول على الإجابة على هذا السؤال، مما يصل بهذا القلق إلى حالة الاكتئاب، والدين وحده هو القادر على أن يطفئ هذا القلق ويهب الإنسان نوعاً من الطمأنينة والسكينة، يقول النورسي:" إن القرآن وحده هو الكفيل بالإجابة عن الأسئلة التي تسألها الفلسفة، فالكائنات: ومن أين ؟ وبأمر من تأتون ؟ من سلطانكم ووليكم ؟ مما تصنعون ؟ وإلى أين تصيرون ؟ ولهذا تُذكر الكائنات في القرآن ذكر استطرادي لبيان طريق الاستدلال على الصانع الجليل"(٢).

كذلك اعتمد النورسي أثناء معالجته النقدية على مفهومي الإسمية والحرفية ليشخص من خلالهما الفارق الأساس بين المنظورين القرآني والفلسفي، موازياً بين الإفادة التي يحصل عليها العقل من وراء تعاطيه الفلسفة والعلم القرآني وبين الدلالة التي يحيل إليها كل من الحرف والإسم " فالفلسفة عدلت عن طريق الحقيقة، فاستخدمت الموجودات لأنفسها بالمعنى "الاسمي"، وأما القرآن فبالحق أنزل وبالحق نزل وإلى الحقيقة يذهب فيستخدم الموجودات بالمعنى " الحرفي " لا لأنفسها بل لخالقها " (٣)، "و الفلسفة المادية تقوم الأشياء والموجودات بذاتها ولذاتها، على عكس الرؤية القرآنية التي تقرر الأشياء بربطها لخالقها"(٤)، فرؤية القرآن أحالية تصل الوقائع ببارئها .. بينما الرؤية الفلسفية رؤية عينية ذاتية مصمتة لا يتعدى فيها الدال مدلوله الحسي الشاخص، فهي بمثابة الإسم يحمل فحواه في بينته فحسب، ومن هنا كان النظر القرآني للأشياء نظراً إيمانياً يلحم بين الظواهر وبين الله خالقها ومدبرها، فيما كان النظر الفلسفي نظراً شيئياً حسياً لا يرسو بمصادراته العقلية القاصرة إلا على منطق جحودي، من أبرز محدداته الاصطلاحية: المجهول واللانهائي والمطلق، وهو ما يعكس ضيعة الإنسان وعجزه"(٥).

ويصل النورسي إلى نتيجة مؤداها أن مكانة القرآن أعلى بكثير من مكانة الفلسفة فيقول:" إن ثروة القرآن الطائلة وغناها الواسع في معرفة الله في ميدان العلم والحكمة، وإفلاس الفلسفة وفقرها المدقع في

---

(١) انظر النص للنورسي في المثنوي العربي، ص:٧٦، وانظر: النورسي فى رحاب القرآن، ص:٢٢٩

(٢) صيقل الإسلام، ص:٢٩

(٣) النورسي، المثنوي، ص:٦٧٠

(٤) نفس المرجع السابق، ص:٧٢

(٥) نفس المرجع السابق، ص:٧٧. وانظر د/ عشراتي سليمان: المرجع السابق، ص:٢٣٤

دروس العبرة والعلم بمعرفة الصانع الجليل"(١)، ولهذا " فإن أسس الإسلام عريقة وغائرة إلى درجه لا تبلغها أسس الفلسفة، بل تظل سطحية تجاهها"(٢)، وبالتالي فالعلم المستفاد من القرآن بالكائنات أعلى وأغلى بما لا يحد من العلم المستفاد من فنون الفلسفة " (٣)، بل إن " مفتاح دلائل إعجاز الآيات وكشاف أسرار البلاغة هو في معدن البلاغة العربية وليس في مصنع الفلسفة اليونانية "(٤).

الموازنة النقدية بين ثمرات القرآن والفلسفة:

سمى النورسي هذه المقارنة النقدية " موازنة " لكي يذكرنا بالمبدأ الذي انتهجه وسار عليه واتخذه أداة ووسيلة في نقده للفلاسفة، وهو أن يعرض آرائهم على موازين العقل، فهو هنا يتخذ الميزان ذاته ليبين أي الطريقين أقرب إلى ما يقتضيه العقل السليم الذي جعله الماديون مقياسهم الأوحد، ولقد كان لاختلاف نظرة الفلسفة إلى الإنسان بالمعنى " الاسمي " ونظرة القرآن إليه بالمعنى " الحرفي " لكل منهما أثار على كافة مجالات المقارنة النقدية وخاصة على الجانب المعرفي وسلوك الإنسان والكون (٥).

الموازنة النقدية في جانب العلاقات الاجتماعية:

لاحظ النورسي أن العلاقات الاجتماعية التي تنشئها الفلسفة، تختلف عن العلاقات الاجتماعية التي ينشئها القرآن، لاختلاف القيم التي يقوم عليها مجتمع الفلسفة، وتلك التي يقوم عليها مجتمع القرآن ولقد لخص النورسي عمل كلا المنظومتين في إطار حركة " مجتمع الفلسفة " و " مجتمع القرآن " وبين آثار كل منهما فيقول: " إن حكمة الفلسفة ترى " القوة " نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية وتهدف إلى " المنفعة " في كل شيء وتتخذ " الصراع " دستوراً للحياة وتلتزم " بالعنصرية والقومية السلبية " رابطة للجماعات ، أما ثمراتها فهي إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية التي من شأنها تأجيج النفس وإثارة الهوى، ومن المعلوم أن شأن "القوة" هو " الاعتداء، وشأن " المنفعة" هو "التزاحم " إذ لا تفي لحاجات الجميع وتلبية رغباتهم، وشأن " الصراع " هو " النزاع والجدال، و شأن " العنصرية " هو " الاعتداء " إذ تكبر بابتلاع غيرها وتتوسع على حساب العناصر الأخرى، ومن هنا تلمس أن اللهاث وراء هذه الحكمة، الفلسفة، لا يسلب من جرائها إلا سعادة البشرية.

أما حكمة القرآن الكريم فهي تقبل "الحق" نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلاً من "القوة"

(١) الكلمات، ص:١٥١، وفى نفس المصدر، الموازنة بين حكمة القرآن والفلسفة، ص: ١٤٠، ١٥١
(٢) المكتوبات، ص:٥٧٠
(٣) المثنوي العربي، ص:٤٠٧
(٤) صيقل الإسلام، ص:٩٤
(٥) انظر إلى كل ذلك بتوسع في كتابنا: الحرية والمعرفة ، ص: ١٥٢ — ١٨٠

وتجعل "رضى الله سبحانه، ونيل الفضائل هو الغاية بدلاً من "المنفعة" وتتخذ دستور "التعاون" أساساً في الحياة بدلاً من دستور " الصراع، وتلتزم برابطة " الدين " لربط فئات المجتمع بدلاً من العنصرية والقومية السلبية، وتجعل غايتها الحد من تجاوز النفس الأمارة ودفع الروح إلى معالي الأمور وإشباع مشاعرها السامية تسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية، وإن شأن " الحق " هو " الاتفاق، وشأن " الفضيلة " هو " التساند، وشأن " دستور التعاون " هو " إغاثة كل للآخر، وشأن "الدين" هو "الأخوة والتكاتف"وشأن" إلجام النفس " وكبح جماحها وإطلاق الروح وحثها نحو كمال هو " سعادة الدارين "(١).

النورسي ونقده للفلاسفة وبيان موقفه منهم:

في البداية نراه يطرح سؤالاً على نفسه ليبين فيه ما قد يخطر بعقول الآخرين، بأنه كيف يهاجم شخص مثله عمالقة وأعلام، ومن يكون هو حتى يناطحهم ويهاجمهم وينتقد آرائهم ويظهر عورها ؟ ويرد النورسي على هذا السؤال فقال مجيباً:" وإن قلت: فما تكون أنت حتى تنازل هؤلاء المشاهير أمثال أرسطو وأفلاطون ؟ فهل أصبحت نظير ذبابة حتى تتدخل في طيران الصقور؟ أقول: لما كان لى أستاذ أزلي وهو "القرآن العظيم" فلا أراني مضطراً أن أبالي – ولو بقدر جناح ذبابة– في طريق الحقيقة والمعرفة بأولئك الصقور الذين هم تلاميذ الفلسفة الملوثة بالضلالة والعقل المبتلى بالأوهام، فمهما كنت أدنى درجة إلا أن أستاذهم أدنى بدرجات لا حد لها من استاذي، فبفضل أستاذي وهمته لم تستطيع المادة التي أغرقتهم أن تبلل قدمي، نعم أن الجندي البسيط الحامل لأوامر سلطان عظيم ، وقوانينه يمكنه أن ينجز من الأعمال ما لم ينجزه مشير لدى ملك صغير"(٢).

يرتكز نقد النورسي التصنيفي للفلاسفة على ثلاثة:

١- فلاسفة الإسلام .
٢- الفلاسفة غير المادين– الذين يسميهم الإشراقيون .
٣- الفلاسفة الماديون .

فنجده يتناول الأوائل "الإسلاميين" تارة بالمدح، كقوله في " ابن سينا ": "ولقد فسر"ابن سينا" "أفلاطون" فلاسفة الإسلام وشيخ الأطباء وأستاذ الفلاسفة، فسر هذه الآية:﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣) من زاوية نظر الطب فقط بالأبيات

(١) الكلمات، ص: ١٤٦، ١٤٥. وانظر في نفس المرجع، ص: ٤٧٣، ٤٧٢ بتصرف
(٢) نفس المرجع السابق، النص بالهامش، ص: ٦٤٨ وانظر. إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة، ص:٢١٥
(٣) سورة الأعراف، آية: ٣١

التالية:

جمعت الطب في بيتين جمعاً وحسن القول في قصر الكلام

فقلل إن أكلت وبعد أكل تجنب والشفاء في الإنهضام

وليس على النفوس أشد حالاً من إدخال الطعام على الطعام[١].

ويتناولهم تارة أخرى باللوم والتقريع، ويضم إليهم بعض المتكلمين، خصوصاً حينما يجدهم قد انساقوا وراء الفلاسفة الماديين بعيداً عن موازين القرآن، فيقول: " لم ينل حكماء الإسلام الدهاة أمثال " ابن سينا والفارابي " وغيرهم من الذين افتتنوا بهذه الفلسفة المنهارة الأسس واغتروا بها وببريقها، لم ينالوا هؤلاء إلا أدنى درجة من درجات الإيمان عند المؤمن الاعتيادي، بل لم يمنحهم الإمام الغزالي وهو حجة الإسلام حتى تلك الدرجة، وكذا أئمة المعتزلة الذين هم من علماء الكلام المتبحرين، فلأنهم افتتنوا بالفلسفة وزينتها وأوثقوا صلتهم بها، وحكموا العقل، لذا لم يظفروا إلا بدرجة المؤمن المبتدع الفاسق، وكذلك أبو العلاء المعري الذي هو من مشاهير شعراء المسلمين والمعروف بتشاؤمه ويأسه وقنوطه، وعمر الخيام المشهور بنحيبه وبكائه ونواحه، لما سلكا طريق الفلسفة وتلذذا بمسلك الهوى والنفس، صفعتهما أكف التحقير والإهانة، فأتُهما بالكفر والزندقة والتضليل"[٢].

أما الصنف الثاني: وهم الفلاسفة غير الماديين " الإشراقيون " فإنه ينتقدهم ويسفه أفكارهم ولكنه يضعهم في مكانة أرقى من الفلاسفة الماديين، من ذلك مثلاً: أنه بعد أن ذكر أراء الفلاسفة القدامى في مسألة " أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد " وكيف حاولوا أن يفسروا علاقة " الله " بخلقه من خلال ما أسموه " بالعقل "، يقول: " فإن كان الإشراقيون الذين هم أرقى الفلاسفة والحكماء فهماً يتفوهون بهذا السخف من الكلام، فكيف يكون يا ترى كلام من هم دونهم في الفلسفة والحكمة من ماديين وطبيعيين"[٣].

أما الصنف الثالث: وهم الفلاسفة الماديون أو الطبيعيون، فهم الذين خصهم النورسي بأكبر قدر من النعوت القدحية، وكانت له معهم وقفات عديدة نقضاً لأدلتهم أو رداً على شبهاتهم ؛ لأن "أهل الضلالة والإلحاد يستندون دائماً على الأسس الفاسدة للفلسفة الطبيعية المادية، فيوهمون بعض المسلمين بأن لهم أسساً علمية يركنون إليها لصد حقائق الإسلام"[٤]

---

(١) اللمعات، ص: ٢٢٣

(٢) الكلمات، ص:٦٤٥، ٦٤٦. وانظر: النورسي حياته وآثاره، ص:٢١٥، ٢١٤.بتصرف

(٣) الكلمات، ص: ٦٤٥

(٤) النورسي نظرة عامة، ص: ٢١٢

معالجة النورسي النقدية لعلم الكلام:

لقد تحدث المتكلمون أنفسهم وعبروا عن خيبة أملهم في علم الكلام كمنهج برهاني يقنع الخاصة أو يصل إلى المعرفة اليقينية، ويبعث اليقين والطمأنينة في نفوس العامة، وعدم جدوى الكلام ونفعه، فالشهرستاني يعبر عما شاهده ووصل إليه المشتغلون بالمناهج الكلامية من حيرة فيقول:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

والغزالي في بحثه عن اليقين، وبعد أن خبُر الكلام تعلماً وتعليماً وتأليفاً يؤكد بأنه صادفه علماً وفياً بمقصوده غير واف بمقصودي، ولا يحصل عن هذا العلم ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق، ويعبر فخر الدين الرازي عن عدم قناعته شخصياً بمنهج المتكلمين، وكيف أنه أضاع عمره سدى في البحث عن اليقين من هذا الطريق فلم يجده، فيقول:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعى العالمين ضلال .

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وغـاية دنـيانـا أذى ووبـال.

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا .

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلاً ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، وقد كانت هذه الأقوال والاعترافات وأمثالها عاملاً هاماً من عوامل الشك في قيمة الكلام الإيجابية من حيث تثبيت العقيدة وترسيخ اليقين، كما أن التحديات التي كان يواجهها الفكر الإسلامي لم يعد يفيد معها أسلوب الكلام القديم، بل كانت في حاجة إلى أسلوب جديد منطقي في أساسه، عملي في أدلته، وواقعي في معالجته، ومنسجم مع روح العصر، ومعبر عنه بأسلوب واضح قريب إلى العقول جميعاً (١).

ومن أبرز أسباب توجه المعالجة النقدية عند النورسي لعلم الكلام هو:

١- " إن قسماً من مصنفان أغلب العلماء السابقين والكتب القديمة للأولياء الصالحين يبحث عن ثمار الإيمان ونتائجه وفيوضات معرفة الله سبحانه وتعالى، ذلك لأنه لم يكن في عصرهم تحد واضح ولا هجوم سافر لجذور الإيمان وأسسه، إذ كانت تلك الأسس متينة ورصينة، أما الآن فإن هناك هجوماً جماعياً منظما عنيفاً على أركان الإيمان وجذوره، ولا تستطيع تلك الكتب التي كانت تخاطب المؤمنين فحسب أن تقف أمام هذا التيار القوي ولا أن تقاومه وتصده"(٢).

(١) أحمد محمد الجلي، أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، المؤتمر السادس لبديع الزمان، ص: ٢٣٩ - ٢٤٠

(٢) الملاحق، ص:١٠

٢- هناك فرق بين التوحيد الحقيقي والتوحيد العامي، كما أن المعرفة المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي، في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، تصبح معرفة تامة، فعلماء الكلام يسلكون مناهج متعددة صعبة ووعرة، ويقطعون سلسة الأسباب لإثبات استحالة الدور والتسلسل في نهاية العالم، ومن بعده يثبتون وجود واجب الوجود، أما المنهج الحقيقي للقرآن الكريم فسهل ميسر وكعصا موسى.

٣- إن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ أن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان، فكما أن الأكل إذا دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم إذا ما دخلت معدة العقل والفهم، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم —كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها — تأخذ منها وتمصها حسب درجاتها، فالمعرفة الناتجة من علم الكلام التقليدي ناقصة ومبتورة، وتظلم اللطائف وتحرمها .

وفي هذه المعالجة النقدية نلحظ أن النورسي يرفض التعامل الأحادي مع قضايا العقيدة في إطار عقلي أو قلبي أو ذوقي، بل إنه يرى أن جسد الإنسان بكامل جوارحه ولطائفة له تفاعل فطري أثناء بحثه عن المعرفة اليقينية من خلال السير عبر المنهج القرآني الذي يتلاقى مع فطرة تلك الجوارح واللطائف والمرشد لها، بعيداً عن المذهبية العقلية العلمية التأويلية، أو المشاهدات الذوقية المتسمة في غالبيتها بالخيالية الذاتية، والفاصلة في سيرها المعرفي بين الإنسان وواقعه، وبين الإنسان والكون الذي يعيش فيه . إذاً فمسعى النورسي النقدي هو إيجاد علم كلام جديد سماته القوة والرصانة والقدرة على الوفاء بحاجات العقل والقلب فيمزج الفكر بالوجدان تحت إرشاد القرآن الكريم " (١).

والمتصفح لرسائل النور يجد أنها تومىء إلى إبراز هدف النورسي الأول من بين أهدافه لتجديد علم الكلام أو العقيدة، وهو تفصيل الأهداف القرآنية، وشرح حقائق الإيمان ومعرفة الخالق الصانع، وهي تعبر عن مدرسة حياتية إيمانية ترتبط ارتباطا وثيقاً بعصر النبوة، حيث كان الوحي في بؤرة الشعور، وكانت الحياة ترجمة له دون مذهبية علمية، ولأن تلك هي رؤية الرسائل، فإن الإصلاح ينصب على كل ما هو إسلامي، ولهذا لم تكتف بشرح حقائق القرآن حسب إدراك واقع العصر وفهمه فقط، بل إنها نهجت بشرح القرآن على ضوء العلوم بضرب الأمثلة على ذلك، وبإيضاح أن كتاب الكون الذي يكون القرآن ترجمته الأزلية يتعلق بمنظومة الحياة والعلوم جمعياً، الذي يعد الإسلام جوهرها ، ورسائل النور بهذا أثبتت أن الحقائق القرآنية تتطابق مع الحقائق الكونية، ومن ثم فقد حثت الرسائل على قراءة كتاب الكون عندما

(١) المثنوي العربي، ص:٢٠٦

أشارت إلى أن حروف كتاب الكون وآياته تشكل منابع الحقائق القرآنية.

فالنورسي باعتماده الكامل على القرآن الكريم أثناء معالجته النقدية، قد عمد إلى البساطة والشمول، فخلص علم الكلام من تجريده النظري المعقد الذي لا يفهمه إلا الخواص، فحوله من علم مغلق إلى علم مفتوح، ومن هنا عبر عن حقائق التهوحيد ودقائق العقيدة الإسلامية بشكل لا يفهمه المسلم وحسب، بل يعايشه ويعانيه قلباً ووجداناً، لأنها صارت حاضرة ومرئية فوق صفحة الكون، فهو منهج قرآني شامل يبدد الغفلة والظلمة ويظهر أنوار التوحيد باستخدام العلم، وهو بهذا لا يؤسس علماً للكلام فقط، بل ويضع الرؤية الشاملة للوجود ككل[1]، وبدلاً من الكلام الجدلي، استخدم النورسي أسلوب القرآن في عرض مسائل وجود الله تعالى ووحدانيته، ومسائل النبوة والآخرة والقضاء والقدر بشكل واضح جلى، يخاطب قلب الإنسان وفكره وعقله وخياله، بل جميع لطائفه معاً، ولا يحصر الكلام في العقل أو الذوق، بل ويورد أمثلة مادية من واقع المرء وبيئته، من النباتات والحيوانات والنجوم ومن النفس الإنسانية .

وقد أطلق بعض الدارسين على الطريق الذي أتبعه النورسي بأنه علم كلام جديد أو علم كلام قرآني مبني على القرآن ويستقي من القرآن المنهج والمصطلح، وبهذا المنهج استطاع النورسي أن يحول قضايا العقيدة من جمودها الجدلي إلى قضايا حيه وفاعلة، ينفعل بها المسلم ويتفاعل معها، ويكون لها تأثير على سلوكه ورؤيته للكون وتقييمه للأحداث والمواقف .

معالجة النورسي النقدية للتصوف:

لقد أدرك النورسي طبيعة المرحلة التي تمر بها تركيا بخاصة، والأمة الإسلامية بصفة عامة، وما تستدعيه من جهد فكري، لذلك قام بعملية مراجعة كبرى لرصيد الأمة من قضايا العقيدة وفق نظرة شمولية نقدية، فلاحظ النورسي أن التصوف الذي كان قائماً على تربية الروح وتطهير النفس الإنسانية وتجسيد القيم الإسلامية الرفيعة، أصبح في العصور المتأخرة أسرع الميادين في الثقافة الإسلامية تعرضاً للانحلال وعاملاً من عوامل التخلف، بل إن بعض الطرق الصوفية تحولت في أغلب الأحوال إلى مراكز لابتزاز أموال الأتباع والمريدين، وإلى أبواق لمحاربة ما تبقى من العلوم العقلية والعلمية، وهكذا أنفصل الفكر عن الواقع.

إن التربية الروحية في فكر النورسي قائمة أساساً على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في الدعوة إلى بيان سبل الاستقامة والسلوك الموزون في الحياة انطلاقا من قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[2]، وقوله عليه الصلاة والسلام «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»[1] و«إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا

(١) عادل محمود بدر، أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، ص:٢٧٦، ٢٧٥

(٢) سورة الشمس، آية: ١٩

وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»[٢]، هذا بالإضافة إلى أن الطرق الصوفية في هذا العصر لا تستطيع أن تقف أمام قوة الهجوم المشكك في الإسلام ؛ لأنها تعتمد على التجربة الذاتية ولا تعتمد في إدراك الحقائق على البراهين المنطقية والحجج العقلية والأدلة العلمية التي هي صفة هذا العصر.

موقفه النقدي من وحدة الوجود:

كان النورسي واعياً تمام الوعي بتسرب النظريات الحلولية والاتحادية والإشراقية والغنوصية إلى التصوف الإسلامي النقي الملتزم بكتاب الله وسنة رسوله، فحاول تصحيح مقولاته وفضح اتجاهاته المنافية لروح القرآن والسنة النبوية بغية الوصول بالمجتمع المسلم إلى نظام أخلاقي متكامل ومتوازن"[٣]، لهذا وجه النورسي نقداً خاصاً لأصحاب وحدة الوجود، وحذر من قراءة كتبهم وإتباع مناهجهم، لأنها مناهج مخالفة لمنهج القرآن، وخص من بينهم " محي الدين بن عربي " الواضع الحقيقي للنظرية في إطارها الإسلامي، ويتمثل نقد النورسي للنظرية وأصحابها فيما يأتي:

إن النظرية تقود إلى إنكار الموجودات، وهو أمر مخالف لتعاليم الإسلام وقيمه، فابن عربي ، كما يقول النورسي، يقول: " لا موجود إلا هو " لأجل الحصول على الحضور القلبي الدائم أمام الله سبحانه وتعالى حتى وصل به الأمر إلى إنكار الموجودات . وهناك آخرون قالوا:لا مشهود إلا هو "وألقوا ستار النسيان المطلق على الكائنات واتخذوا طوراً عجيباً "[٤]، وهذه النظرة لا تخلو من خطر، إذ أن مبادئ الإيمان تقرر موجودات لابد على المؤمن أن يقول بها، منها وجود الآخرة .. فالإيمان بالآخرة لا يحتمل أن يقال بخيالتها، لذا وجب التحفظ –كما يحذر النورسي– في فهم مسألة وحدة الوجود، ويوصي " صاحب هذا المشرب ألا يصحب معه هذا المشرب، وألا يعمل بمقتضاه عندما يفيق من عالم الاستغراق والنشوة، ثم إن عليه ألا يقلب هذا المشرب القلبي والوجداني والذوقي إلى أسس عقلية وقولية وعلمية، وإلا أوهم نفسه وغيره بالمادية والطبيعية والوقوع في التحلل والابتعاد عن حقيقة الإسلام"[٥]، ويبين النورسي أن "هذا المسلك – وحدة الوجود – ليس هو أرفع المراتب الإيمانية، ولا هو بمسلك حقيقي، وإنما هو مشرب

---

(١) الصحيح لمسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ٢٠٥٥/٤، رقم الحديث ٢٦٧٠

(٢) أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة، ٥١٢/٢، رقم الحديث ١٣٦٩

(٣) المكتوبات، ص:٢٢٤، ٢٢٥

(٤) أحمد محمد الجلي، المرجع السابق، ص:٢٤٣.بتصرف

(٥) إحسان قاسم، أنوار الحقيقة، ترجمة: النورسي، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص:٧٣، وانظر، النورسي في رحاب القرآن، ص: ١٤٨، ١٤٩

أهل السكة والاستغراق وأصحاب الشوق والعشق"(١) ، كما أن النظرية أو المشرب أو النزعة أو الحال – كما فضل النورسي أن يسميها – مرتبة ناقصة، ولكن لكونها مشربة بلذة وجدانية ونشوة روحية، فإن معظم الذين يحملونها أو يدخلون إليها لا يرغبون في مغادرتها فيبقون فيها، ظانين أنها هي المرتبة الأخيرة التي لا تسمو فوقها مرتبة ولا يطالها أفق"(٢).

لقد كان النورسي يدرك مخاطر الإغراق في القول بمذهب وحدة الوجود، إذ أدرك المخاطر التي تتوارى خلف هذا المنزع، وكان يسيراً على الطبيعيين الذين ألهوا الطبيعة أن يقتنصوا الأبرياء والسذج ممن تطرقتهم أفكار وحدة الوجود دون فهم أو استيعاب، فيستدرجونهم إلى الوقوع في مطب الشرك، وأن يخاطبوهم قائلين: " نحن وأنتم سواء، نحن أيضاً نقول هكذا ونفكر هكذا ونرى في الطبيعية مجلي ألوهيتنا بل حقيقتها "(٣)، علماً أنه لا يوجد مشرب في العالم بعيداً عن منهج الماديين وعبدة الطبيعية من مشرب "وحدة الوجود"، ذلك لأن أصحابه يؤمنون بالله إيماناً عميقاً إلى درجة يعدون الكون وجميع الموجودات معدوماً بجانب حقيقة الوجود الإلهي، بينما الماديون يولون الموجودات من الأهمية إلى حد أنهم ينكرون معها وجود الله تعالى، فأين هؤلاء من أولئك ؟ (٤)

وهنا نلحظ أن النورسي لم يخرج أصحاب مذهب وحدة الوجود من دائرة الإيمان والرمى بهم في دائرة الكفر، بل تعامل معهم بقدر ما معهم من إيمان حتى لا يكون عوناً للشيطان عليهم، ولهذا نجد أنه يعترف بإيمانهم العميق بالله رغم مآخذه عليهم، بل ويعترف بأن ابن عربي مهتد ومقبول، ولكنه ليس بمرشد ولا هاد أو قدوة في جميع كتاباته، ويعلل بأنه يمضي غالباً دون ميزان في الحقائق، فيخالف القواعد الثابتة لأهل السنة، ويفيد بعض أقواله ظاهراً الضلالة غير أنه بريء من الضلالة، إذ الكلام كفراً ظاهره، إلا أن قائله لا يكون كافراً (٥)، وهنا نلمس أن النورسي رغم اعتراضه ونقده لمذهب وحدة الوجود، فإنه لم يتعرض لواضعه الحقيقي بأي تجريح، بل نراه ينفي عن ابن عربي الكفر، ويرى أنه بريء من الضلالة.

ولكن رغم دفاع النورسي وثنائه المدفوع بأدب العلماء الأتقياء عن ابن عربي فإن هذا لم يثني النورسي أن يعلن: " أن منزلة الإيمان القرآني أعلى وأسنى من منزلة القبس الشهودي، ذلك؛ لأن الانصياع لتقريرات الله عز وجل من خلال منطوق كتابه العزيز أولى من تحسس الإيمان من خلال الاستغراقات

---

(١) اللمعات، ص:٦١

(٢) المكتوبات، ص:١٠٥

(٣) النورسي في رحاب القرآن، ص:١٤٩ وانظر المكتوبات، ص:٥٨٠. وانظر ص:١٠٦، ٤٢٥، ٥٧٩

(٤) سوزلر، النورسي، أنوار الحقيقة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص:٧٥، ٧٦

(٥) اللمعات، ص:٤٤٥ وانظر .ص:٥٢- ٥٦، ٦١- ٦٥، ٤٣٣- ٤٤٥

الروحية التي قد لا يسلم متعاطيها من زلل، لهذا يقول النورسي: " إن درجة الشهود أوطأ بكثير من درجة الإيمان بالغيب ... وميزان جميع الأحوال الروحية والكشفيات والأذواق والمشاهدات إنما هو دساتير الكتاب والسنة السامية، وقوانين الأصفياء والمحققين الحدسية " (١).

موقف النورسي النقدي لمفهوم الولاية:

إن مفهوم الولاية هذا قد اعتراه انحراف، بلغ ببعض الغلاة من المتصوفة إلى القول بأفضلية الولي على النبي، ولقد سجل أبو حيان في "البحر المحيط" هذا الانحراف بأفضلية الولي على النبي بما جرى لموسى مع الخضر عليهما السلام، على أن الخضر أفضل من موسى، واستدلوا بقول أبي يزيد "خضت بحراً وقف الأنبياء بساحلة " ، وهذا كله من ثمرات الرعونة والظلمة من النفس ، ولما كانت هذه الدعوى ذات صلة وثيقة بالعقيدة، فقد حرص النورسي على أن يكشف عن هذا الانحراف العقدي وما يتطلبه من أدلة مقنعة.

وقد ذكر النورسي في" المكتوب التاسع والعشرين " أن من مزالق بعض الصوفية ممن لا يتبعون السنة النبوية على الوجه الصحيح، هي اعتقادهم بأرجحية الولاية على النبوة "(٢)، ثم يكشف النورسي أن دعوى بعض سالكي التصوف بأفضلية الولاية على النبوة، مصدرها ومنبعها هو الوهم الذي يستحوذ عليهم، حيث إن "ما يتوهمونه بأن ظلال مقامات الولاية ونماذجها المصغرة كأنها هي المقام الحقيقي والكلي والأصلي"(٣)، ولزوال هذا التوهم، يفرق النورسي بين تلقي النبي للعلوم مباشرة عن الله، وبين انطباع بعض المعارف في قلب الولي، بمثال من يتلقى نور الشمس بواسطة مرآة فيقع له من النور الساقط على المرآة بقدر سعة المرآة "(٤)، ويؤكد " في الكلمة الرابعة والعشرين والكلمة الحادية والثلاثين من كتاب الكلمات "سمو النبوة على الولاية، وخفوت ضوء الأخيرة أمام نور النبوة " (٥)، وأن مقام النبوة لا يمكن أن يرقى إليه أي ولي من الأولياء مهما كانت قيمته.

موقف النورسي النقدي من إسقاط بعض المتصوفة لأوراد السنة النبوية:

يتفق النورسي مع سائر علماء السنة أن أفضل سبيل موصل إلى الولاية هو سلوك نهج السنة المطهرة فيقول: " إن إتباع السنة النبوية المطهرة هو أجمل وألمع طريق موصلة إلى مرتبة الولاية من بين جميع

---

(١) المكتوبات، ص:١٠٥ وانظر، النورسي في رحاب القرآن، ص: ١٤٩

(٢) فردوس أبو المعاطي أعمال مؤتمر العدالة، ص:٦٧٠، ٦٦٩ وانظر: المكتوبات، ص:٥٨٨

(٣) المكتوبات، ص:٥٨٩.وانظر أنوار الحقيقة، ص:٥٣، ١١٢

(٤) الكلمات، ص:٦٦٩

(٥) المكتوبات، ص:٥٨٨

الطرق، بل أقومها وأغناها، والمريد الحق – في نظره– هو المتبع لما تقرره الشريعة، فيلتزمها بحذافيرها، إذ الإتباع يعني تحري المسلم السنة السنية، وتقليدها في جميع تصرفاته وأعماله، والاستهداء بالأحكام الشرعية في جميع معاملاته وأفعاله "[١]، " كما أن آداب الشريعة كما سنها سيد المرسلين، والتي هي ثمرة الوحي، هي أسمى وأعلى من آداب الطريقة التي هي ثمرة الإلهام .. ومن هنا كان أساس الطريقة هو إتباع السنة النبوية "[٢]، حيث "أن آداب الطريقة وأوراد التصوف وما يحصل للسالك منهما من أذواق، ينبغي أن تكون مدخلاً لأذواق أحلى وأعلى وأسمى، يحصل عليها هذا السالك من أداء الفرائض والسنن"[٣].

ويؤكد النورسي بعد ذلك أن اتباع السنة والتمسك بها أفضل عند الله من مئات الأوراد الخاصة كما أن سنة واحدة أفضل ألف مرة من آداب التصوف، فيقول " إن إتباع سنة واحدة من السنة النبوية يكون مقبولاً عند الله أعظم من مائة من الآداب والنوافل الخاصة، إذ كما أن فرضاً واحداً يرجح ألفاً من السنن، فإن سنة واحدة من السنن النبوية ترجح ألفاً من آداب التصوف "[٤]، ونلحظ أن نقد النورسي ورفضه لإسقاط بعض المتصوفة لأوراد السنة وعدم تمسكهم بالسنن النبوية مرجعه ؛لأن ذلك مخالف لقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [٥]، وبهذا أضحى بعض المتصوفة يتجاوزون المنهج والمفاهيم، فأصبحوا ينزلون مفاهيم الفن الصوفي منزلة مفاهيم الوحي، التي سرعان ما تتحول فيما بعد إلى مفاهيم متأخرة على المفاهيم الصوفية، وهكذا فإنهم:– أنزلوا المجاز منزلة الحقيقة وقدموا المجاز عليها

- وأنزلوا الولاية منزلة النبوة وقدموا الولاية عليها .
- وأنزلوا الباطن منزلة الظاهر وقدموا الباطن عليه .
- وأنزلوا الأوراد الصوفية منزلة الأذكار السنية وقدموا الأوراد عليها .
- وأنزلوا الإلهام منزلة الوحي وقدموا الإلهام عليه .
- وأنزلوا الكرامات منزلة المعجزة وقدموا الكرامة عليها .

لمثل هذه المواقف وغيرها، انبرى النورسي بالنقد الإيجابي البناء ليبرهن على عكسها، وبيان أوجه الصواب من خلال عرض الفكرة دون التعرض لأسماء أو أشخاص، كما أنه بذل كل مساعيه بأن لا يتخذ

---

(١) المرجع السابق، ص:٥٨١
(٢) النورسي في رحاب القرآن، ص:١٥٢
(٣) النورسي، أنوار الحقيقة، ص:٨٣
(٤) المكتوبات، ص:٥٨٨
(٥) سورة الأحزاب، آية:٢١

بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، وذلك من خلال رفضه ونقده لفكرة فناء المريد في الشيخ، وهذا ما جعله يستبعد أن تكون العلاقة بينه وبين طلابه من باب العلاقة بين الشيخ والمريد؛ لأن الشيخ لا يملك الحق ولا اليقين، وإنما الحق واليقين في البرهان القرآني ، ومن أجل ذلك بنى النورسي منهجاً معرفياً جديداً يتأسس على القرآن والسنة، كي يتحرك الإنسان بخطاهم، وهو منهج يتحد فيه العقل والقلب معاً، ويمثل طريقاً قصيراً وسبيلاً سوياً من أجل الوصول لمعرفة الله، وهو: طريق العجز ... الفقر ... الشفقة ... التفكر[١].

الخاتمة:

إن الاستنتاج من دراستي للمعالجة النقدية الإيجابية البناءة في فكر النورسي تضع في المقدمة وجوب تصحيح النية والحذر من تزكية النفس والتجاوز في الرد والنقد، ووجوب إنصاف المخالف والتعاون معه نصرة للدين وعدم تنقيصه، والالتزام بالعدل وتعظيم حرمات المسلمين، وتوطين النفس على قبول الحق، مع مراعاة القدرات العقلية والأحوال والبيئات، والتعامل مع القول لا مع قائله، وأبرز ما يلفت الانتباه هو انتهاج النورسي في تنقية ذاته من أي تعصب أو أحكام مسبقة عند معالجته النقدية لأي قضية.



(١) المثنوي العربي النوري، ص:٤٣١ – ٤٣٢، وانظر ذيل الكلمة السادسة والعشرون، ص: ٥٤٩